شكر وتقدير

بعد حمد الله وشكره ، يسجل المؤلف شكره وتقديره لكل من تفضل واطلع على بعض مسودات وأفكار هذا الكتاب - فى مراحل إعداده - وقدم الملاحظات المفيدة. ونخص منهم الأستاذ عبيد على الصالحى ، أستاذ اللغة العربية ، والدكتور إبراهيم محمد عبد الله الخولى ، الأستاذ بجامعة الأزهر ، والدكتور محمود إبراهيم حسين - أخصائى الطب النفسى بجامعة حلوان ، والدكتور محمد فايد محمد عبد المنعم - طبيب التخدير ، والشيخ عبد الله عليوة - صاحب مكتبة حلوان المسلمة ، والناشر الفاضل الأستاذ وهبة حسن وهبة.

ولا شك فى أن أهل بيتى قد بذلوا أقصى ما فى وسعهم لتهيئة الجو المناسب لإخراج هذا الكتاب للوجود وقد تحملوا الكثير. ولا أملك إلا أن أسأل الله - العلى القدير - أن يجزى الجميع خير الجزاء على إخلاصهم فى خدمة الفضائل.

هذا وأقر بأن هذا الكتاب هو محصلة العديد من المعلومات التى تعلمتها من غيرى ، أى من أساتذتى ، وكل من تعلمت منه شيئا أو اقتبست منه فكرة أو حتى جملة تعبيرية ، وهم بالعشرات ، ولن يضيع الله أجورهم.

المؤلف

obeikandi.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد - خاتم المرسلين ورحمة الله للناس أجمعين - وعلى آله وصحبه والتابعين وتابع التابعين بإحسان إلى يوم الدين. الحمد لله نقولها خالصة فى الأولى ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ونسأل الله الكريم أن يلهمنا إياها فى الآخرة.

وبعد : فقد تأكد فى العصر الحاضر أن تطور الحضارة المادية - وحدها - لم يحقق للإنسان السعادة المنشودة ، بل تولدت عنها أنواع ومستويات من الجنون المقنع والمقنن ، وازداد الشقاء واستشرت الفتن التى يندر أن ينجو من شرورها إنسان ، وتضاعفت المآسى وحالات الانتحار ، وطغت وسائل الدمار ، وتلاحقت جهود الإفساد ، بقصد وبجهل. واندفعت العلوم الآلية تتسارع ، فى غير الطريق الصحيح ؛ لفتح طرق الهلاك والصعود إلى حافة الهاوية ، بعلم مزعوم وخلق مذموم ، فاتسعت وتشابكت العداوات ، وكشر العنف وسيطر الفساد ، وأصبحت معظم الضمائر غير مؤتمنة فضُيعت الأمانة ، وعلت ضحكات الشيطان شماتة فى ضياع عقل الإنسان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله. لقد صار التفكير المنطقى النقى مدعاة للسخرية ، والاستقامة أصبحت تهمة

تخلف ورجعية ، ولسان الحال يكاد يقول : ﴿ أَخْرِجُوهُم مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ الآية ٨٢ - سورة الأعراف.

وهذه ليست نظرة تشاؤمية - كما قد يحسبها القارئ - لكنها دعوة للصدق مع النفس. فحين تنتشر البضائع المغشوشة ، والأغذية الفاسدة ، وتسقط العمارات الجديدة على رءوس ساكنيها ، والكل يصرخ من بشاعة التلوث وهول الفساد ، فتلك أدلة على شيء ما في عقول أفراد المجتمع. والناس إذا جلسوا بعضهم إلى بعض أبدوا عدم رضاهم ، وسخطهم أو مللهم من مجمل الأحوال ، وأحيانا يتطرقون لبعض التفاصيل فيلقون اللوم على الآخرين دون أن يفكر أحدهم في مراجعة نفسه ، وتحمل مسؤلياته تجاه تحسين الأوضاع التي ينكرها ، وكأنه بلا عقل ومعفى من المبادرة بإصلاح نفسه وتحمل مسؤلياته تجاه رعيته ونحو محيطه الذى يعيش فيه وينكر أحواله!

إن العقل السليم المبصر هو السياج الذى يحصننا ضد الشيطان والفساد ، لكن عدوى الخلل قد أصابت الجوهر وهو عقول البشر ، وسط خلل فكرى عام وتلوث ثقافى شامل ، فالتبس الهدف وضاع الطريق ، فحل الصدام محل الوئام ، واستبدل الصراع بالتعاون ، فطغت وحوش الغابة وتجاوزت كل الحدود ، وانكمش الاصلاح وتمدد الإفساد ، مع تحلل الفكر واحتباس الرأى. ولم تعد القضية تخص عقل فرد أو عدة أفراد ، بل أصبحت قضية مجتمع منفلت - أو مشكلة عالَم كبير - يتخبط ويعانى مشكلات نفسية ، هى فى الأساس

مشكلات عقلية فكرية تتصل بما يراد تحقيقه فى هذه الدنيا ، وتتصل تحديدا بأهدافنا ومدى سموها وملاءمتها لجمع شملنا ، أو مدى هبوطها فتكون فى مقدمة أسباب ضياعنا وتخلفنا ، وتلك قضية العقل ومسئوليته ، ألا وهى قيادة الجوارح نحو الغاية السامية. وبما أن العقل هو الذى ينظم نشاط الجوارح فتنظيمه هو أوجب. ويهدف هذا الكتاب إلى تقصى دور العقل مع مناقشة بعض المفاهيم العقلية.

ولا ندعى أننا فى هذا الكتاب نخاطب الملائكة ، أو ننشد المدينة الفاضلة ؛ لأن ذلك غير ممكن فى الدنيا ؛ نظرا لطبيعة التكوين البشرى - القابلة للخطأ - وبسبب الجهود الحثيثة لإبليس وأعوانه ، ونعرف أن الفساد موجود منذ فجر التاريخ ، يتأرجح بين المد والجزر ، ونماذج الخير والوفاء والترفع تتجاور - قدرا - مع نماذج الشر والغدر والتسفل. لكننا ننشد وضعا أفضل ونرجو تسليط قدر من الضوء على مكامن الخلل ، وكشف بعض الأكاذيب ، ومحاولة تعرية أساليب المفسدين فى الأرض ، ومقاومة الشياطين ، وكشف مدبرى حيل التفكيك والتشرذم - بقدر المستطاع - برغم علمنا بما يتمتعون به من إمكانات مادية مخدومة ومتطورة سخروها بالباطل لدعم الباطل ، لذلك نوقن بمدى وهنها مهما انتفخت. ونطالب العقلاء بإذابة عقد الأسوار الشائكة بيننا وبين بعضنا. فالمطلوب دعم العقل كضرورة فى عصر الجنون ، ونرجو الخروج من ضيق فكر الوحل (الهابط) إلى رحابة الفكر الكونى السامى.

ويهدف هذا الكتاب إلى مراجعة الموقف وإعادة تقويمه عقليا ؛ على طريق الدعوة لتصحيح المسار نحو الهدف الأسمى والغاية التى ليس بعدها غاية ، ألا وهى رضا رب الأرباب الكريم التواب ، وذلك بالتفكير العلمى وأسس المنطق السليم. والخطاب هنا للعقل بشرط التواضع والتجرد من الهوى والتخلى عن التعصب والتحلى بالصبر ورحابة الصدر ؛ فالمعنِى هو الإنسان المنطقى القابل للتجرد فى سبيل الوصول للحقيقة.

والصعوبة فى وضع هذا الكتاب أنه يستخدم ما يحتاج دوما إلى تنظيم – وهو عقل المؤلف – فى توضيح كيفية المساعدة فى تنظيم بعض عقول البعض ، وتبدو الصورة كمن يستخدم – فى الضبط – وسيلة لا تخلو من الحاجة إلى ضبط. وقديما قالوا إن: " فاقد الشيء لا يعطيه " ؛ ولكنْ للضرورة أحكام ، و "ما لا يدرك كله لا يترك كله" ، ولا يأس مع الإيمان.

وأحسب أن هذا الكتاب أشبه ما يكون بدعوة المضطر ، بعد أن برزت شدة الحاجة لفعل شيء يفيد ، أو لنشر كلمة طيبة ، ولأن يحيا الإنسان دائما فى حالة من الوعى الداخلى ، وضبط النفس ؛ على أمل أن يؤدى ذلك إلى التخلص ولو من بعض العادات العفوية والسلوكيات الآلية العمياء ، التى أدت إلى تردى الأوضاع فى الأوحال المادية إلى المستويات التى قد تأباها الأنعام – ولا حول ولا قوة إلا با لله. ونثق بأن الذى خلقنا ورزقنا لن يخيب رجاء من دعاه – وهو

نشأة فكرة الكتاب

لم يكن يخطر بالبال - فيما تقدم من العمر - أن أقدم على إعداد مثل هذا الكتاب ؛ نظرا لغرابة موضوعه الذى قد يصنف - كما جرت العادة - تحت العلوم النفسية والاجتماعية والسلوكية ، ولم يسبق له ارتباط بارز بمجال تخصصى المهنى وهو "هندسة الإنتاج" - على الأقل من وجهة نظر البعض. ولكن بمرور الوقت والتجارب والاطلاع والتأملات والعبر يتبلور لدى الإنسان رؤى تجمع تداخلات شتى! وبجوار التخصص المهنى ، فإننى أولا وقبل كل شيء إنسان وفرد فى مجتمع ، يعيش همومه ومعاناته ومشاكله. هذا فضلا عن أن العقل قاسم مشترك بين البشر.

ومع الوقت تجمع لدى ما أحسبه نوعا من الفكر ، فضلا عن أن طبيعة عملى تفرض على التركيز على توظيف العقل قبل الجوارح. ومع كل يوم يمر يتأكد الإنسان من شدة ارتباط العلوم بعضها ببعض فى توحد يُمجد الخلاق العليم ، ويتضح أن معظم الفواصل بين الأشياء موهومة أو مصنوعة ربما لدواعى التخصص الذى أصبح ضرورة ، وسط تعقيدات العصر التى لا يمكن أن يحيط بها عقل واحد.

obeikandi.com

ومع اهتمامى المهنى بمجالى التحكم والتنظيم الصناعيين ، ومحاولة تحليل أسباب تخلفنا – الصناعى والتنظيمى – عن الدول التى سبقتنا فى مثل هذه المجالات التكنولوجية وغيرها من أمور الدنيا ، وأيضا بتحليل بعض المشاكل التنظيمية فى دول التقدم التقنى ، فقد لوحظ أن الإنسان يحتاج إلى تقويم وتطوير نفسه قبل أن يطور المحيط من حوله. كما لوحظ أن البشر يحتاجون إلى التنظيم الداخلى أكثر من احتياج الماكينات والعجماوات إليه ، بمعنى أن تنظيم المُعدات وكل الجمادات والنباتات غاية فى اليسر ؛ لأنها لا تملك عقلا ولا إرادة بارزة ؛ فقد تفضل المنعم وجعلها مسخرة خاضعة مستسلمة طيعة ، ولولا ذلك لتعذر التعايش معها. ومن يتتبع مشاكل حياتنا يجد أن معظمها – إن لم تكن كلها – راجعة لأسباب تتركز فى تقصير أو انحراف العقول ، ولكن بما أن العقل هو وسيلة الرؤية فيندر أن يرى العقل حقيقة نفسه ، فالمائل يرى أن الأشياء الأخرى هى المائلة ، والعين يتعذر أن ترى نفسها إلا بواسطة مرآة ، فما هى مرآة العقل إذن!

إنه لمن غير المقبول – عقلا – الاندفاع لارتياد الفضاء والانشغال بالنجوم البعيدة دون أن نتقصى حقيقة النظام الذى نفكر به! العقل. لا مفر من الاهتمام بالموضوع لخطورته بالذات فى وقتنا الحاضر وفى المستقبل ؛ لأن الأدوات الهائلة التى يمتلكها البشر – حاليا ومستقبلا – يلزم ترشيد استخدامها ، وبوادر التدمير والإفساد أوضح من أن تحتاج إلى شرح. والعقل هو وسيلة الإنقاذ.

ونسأل : كم من البشر خطر على باله محاولة إدراك الحكمة من دور العقل الذى أنعم الله به على الإنسان وميزه به ، وحرية الاختيار التى منحها الله له ، وإبداع مداخل العقل ومخارجه وتناغمه مع طرفياته؟ إن فكر إنسان العصر أصبح سجينا فى مبانى الأشياء ومحروما من نعيم معانيها!

إنه ليحز فى النفس أن يرى الإنسان عقول إخوته (الأبرياء) فى الإنسانية تتعرض – دون أن تشعر – لحملات التخريب المنظمة والآثمة ، بدلا من برامج التبصير المخلصة ، والسكوت على هذا التخريب يعد إثما يحاسبنا عليه من **لا تأخذه سنة ولا نوم**. لقد قال لى بعض تلاميذى ما ملخصه : إنك حين تحدثنا عن التنظيم وقيادة الفكر للعلم ولحركة المجتمع الإنسانى نقتنع ونتحمس لما تقول ، لكن حينما ننتقل للواقع نجد أنفسنا قلة مبعثرة وسط هدير مجتمع سُوقى ليس مستعدا لسماع ما نقول ، وحتى من يسمعنا مجاملة يشفق علينا مستغربا ما نقول وسط أمواج عاتية ، فما أشبهنا بمن يصرخ فى البرية.

وبريق المال يتلطخ بأوحال الشهوات وتسلط عليهما الأضواء ذات الألوان الصارخة ليل نهار. ومكبرات الصوت العالى تدخل – مع الصور السافلة الهابطة الملطخة بالرذائل – من الجو إلى مخادع ومعايش الناس ومنهم من لا يعرفون القراءة ، ومنهم من يتسمون بالبراءة ، فكيف تقاوِم تلك العقول الغضة ذات القدرات المتواضعة؟! وكيف تصمد نفوس غير أولى العزم من البشر؟! ومن المعلوم أنه تحت شدة الضغوط ينفذ الفكر من أضيق الثقوب.

إنها قسوة المجتمع المتوحش الذى يغتصب عقول الأبرياء قبل أجسادهم ، وقد وُجد ذلك فى كل العصور ، لكنه فى هذا العصر أشد ؛ بسبب ما توفر فيه من إمكانات مادية منظمة. ولكن من الخطأ أن نستسلم لليأس -كما حدث للبعض ، وكما ينصح البعض الآخر - وإنما سنظل موقنين ومتمسكين بقول ربنا ، عز وجل: ﴿ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ ا لله إِلا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ الآية 87 - سورة يوسف - عليه السلام.

وهنا أتذكر حديثا جرى فى مجلس يضم شخصيات بارزة - فى هيئة لها احترامها التقليدى فى المجتمع - أثناء مناقشة أسباب إحدى الظواهر السلبية. قال أحدهم: عجيب أن توجد مثل هذه السلوكيات وسط نخبة تمثل صفوة المجتمع!! فقلت له: يا دكتور فلان ، هل هذه الصفوة التى تتحدث عنها تم اصطفاؤها - أساسا - بمعايير أخلاقية؟ قال: لا ، ولكنهم يحملون أعلى الشهادات ويعتبرون من العلماء فى تخصصاتهم! قلت فى نفسى: إن الأمر ليحتاج إلى تبيين. وقد يكون التبيين فى هذا الكتاب.

إن أساس التعامل بين البشر وتقويم السلوك ليس القوانين واللوائح المنظِمة ، إنما الأساس هو الرشد العقلى والأخلاق. فهل هذا الذى يجرى - فى حياتنا الآن - رقى يجوز أن تفخر به الإنسانية؟! بتأمل الواقع العالمى يتبين بوضوح أن معظم دول العالم - إن لم تكن كلها - تشهد تضخما بالغا فى أعداد رجال

الشرطة والمباحث والمخبرين ومختلف الأجهزة الرقابية والتجهيزات الوقائية ، وأيضا تضخم عدد المفاتيح التى يحملها كل منا ، وشدة تحصينات الأبواب ، كل ذلك يدل على شدة القلق وغياب الأمان ، وعدم الاستقرار فى المجتمعات الحديثة ، بمجتمعات الحضارة العنيفة العمياء! التى أساء روادها الظن با لله ، فأعرضوا عن ذكره ، وبعدوا عن طريقه!

إن تعدد السجون ، وطفح المحاكم بالقضايا ، وطول مدد التقاضى ، وتضخم كتب القوانين الناتج عن الإسهال التشريعى ، وتزايد جيوش المحامين ، كل ذلك يدل على مدى تردى علاقة الإنسان بأخيه الإنسان ، وقديما قيل: "لو أنصف الناس لاستراح القاضى". إن كل هذه الأجهزة وهذه النوعية من الأنشطة – رغم أهمية الحد الأدنى منها – هى فى حقيقتها عالة على المجتمع من الناحية الاقتصادية ، وتضخمها وتورمها يمثل أعراضا مرضية تنبه إلى ضرورة تقصى أصل المرض الخطير ، فبأى وسيلة غير العقل يمكن تشخيص أصل الداء ووصف الدواء ووضع خطة العلاج ومتابعتها؟!

لقد سخر ا لله الحيوانات للإنسان يوظفها ويوجهها بسهولة ، ويمكن تدريبها لتصل إلى ما يشبه الاقتناع بضرورة أداء ما يراد منها دون عصيان فى مقابل إطعامها والحنو عليها ؛ فعقولها محدودة النشاط والذاكرة. وللأسف فإن بعض الهيئات والمنظمات باتت تخطط لفعل شىء قريب من ذلك مع جماعات ومجتمعات بشرية لكن بدون حنو وبدون رحمة ، فترى جماعات تفوق الحصر قد

استسلمت للبرمجة وأصبحت أليفة وتنفذ ما يطلب منها مقابل تلقى ما يسد الرمق أو يلبى حاجات بعض الغرائز ، والعقل شبه مغيب ولا يعمل فيه إلا الدوائر التى تم برمجتها اصطناعيا ، وبعض المناطق التى لا تكاد تستيقظ حتى يعاد تخديرها بشتى الوسائل!

إن احتلال العقول هو أجدى وسيلة للسيطرة على المجتمعات والشعوب ، فالعقل هو مركز التحكم فى سلوك الإنسان ، ومهما يُسن من قوانين ؛ للسيطرة على الإنسان وتنظيم المجتمع الإنسانى ، نجد أن عقولا كثيرة تتفنن فى الالتفاف حول القوانين ومراوغتها والخروج عليها ، فتعود المشكلة كما بدأت (صراع بين العقول) ، عقول المنظمين وعقول الخارجين على النظام المفروض. إن تفشى الجريمة وتضاعف معدلاتها سنويا ليدل على شدة إظلام الطريق الذى يسير فيه الإنسان ، وعدم سلامة أساليب المعالجة. فالمطلوب معاملة العقول بما تستحق من تقدير وإقناع ، وبما تحتاج من ترقية وترشيد ، تلك هى البداية السليمة للإصلاح إن وُجد الإخلاص. إن حال البشرية اليوم ليؤكد عمليا أن الغزو الثقافى بإمكاناته الحديثة أجدى - فى شل حركة الخصم وإلحاق الهزائم به والسيطرة عليه - من الصواريخ وفرق الدبابات وأسراب الطائرات.

إن المرء ليعجب حين يرى أناسا مشهودا لهم بالذكاء التقليدى والمقدرة العقلية - الظاهرة فى مجال تخصصى معين - ولكن حين نتأمل بعض تصرفاتهم وسلوكياتهم نستشعر ما يشككنا فى مدى سلامة فكرهم واستنارة عقولهم. مما

obeikandi.com

يجعلنا نفكر فى ضرورة التمييز بين القدرة (أو الإمكانات) العقلية التقليدة – المادية – وبين سلامة الفكر (المعنوى) ، وندرك خطورة جهود وحملات التضليل التى تسلط على عقول الناس لتشكيل فكرهم والتحكم فى توجهاتهم لخدمة أغراض لم يثبت نزاهتها.

لقد كانت جهود التضليل فى الماضى متواضعة مقارنة بحملات اليوم التى أصبح لها منظمات عالمية تملك من الأموال ووسائل التأثير ما يزحزح الجبال ويخضع معظم الرقاب. وأكثر ضحايا هذه الحملات يكونون من البسطاء وعوام الشعوب فى المدى القريب ثم أصحاب جهود التضليل أنفسهم وأعوانهم على المدى البعيد ، فلا يمكن أن تكون عاقبة التضليل محمودة. وقد يتمادى أهل الباطل وجنود الضلال فى غيهم وغرورهم إلى أن يأذن الله بظهور آية من آياته فيظهر الحق ويمحق الباطل ؛ ليعلم الذين ظلموا **أى منقلب ينقلبون**.

ولا نقصد من وراء تنبيه العقل (المستقبِل) التحكم فيه ولا توجيهه وجهة بعينها كما تفعل الجهات المغرضة ، فلا توجد أدنى منفعة شخصية (دنيوية) للمؤلف من وراء ذلك ، ولا يملك أجهزة تأثير. وإن قدر الله لهذا الكتاب فائدة فى تنقية وتنشيط فكر البعض فقد لا يتم ذلك فى حياة المؤلف ؛ لأن تنشيط الفكر وتحويله لتطبيقات عملية يحتاج إلى وقت. ولسوف يستشعر القارىء – شبه المحايد – أن مقاصد كل محاور الكتاب تدور فى نطاق الدعوة إلى الخير عبر

خيوط الحقائق وتتابع الأدلة العقلية ؛ لتحرير العقول المحتلة ، ومطاردة المنكر والأكاذيب والأباطيل والأوهام ، وكشف الزيف والخداع - كلما أمكن.

إذن يلزم تحليل الأمر وتوضيح مواطن الخلل وتنبيه العقول ذاتها ومحاولة تحصينها ضد مخططات التضليل والجهالات ومخططات الاحتلال المشبوهة ، وتهيئة العقول البريئة للاتفاق على حد أدنى من الوفاق العاقل ؛ من أجل شيء مأمول فى إصلاح بعض مناهج التفكير ، وذلك متطلب لصلاح المستقبل والخير للجميع. ومن هنا تولدت فكرة هذا الكتاب - كوليد للحاجة التى يقال إنها "أم الاختراع" - الذى لم يكن ليخطر على البال لو كانت الأمور تسير على ما يرام. فنحن نعيش فيما يمكن أن نسَميه "بالمجتمع الاصطناعى" الذى طغى عليه جفاف المادة وسعار النزوات ، وفُتن بالتطور الآلى ، وضاعت فيه القيم والأخلاق الحميدة وسط سوقية الحياة الاجتماعية وهيمنة التبذل والتفسخ عبر مختلف وسائل الإعلام والتثقيف والترفيه ، وأصبحت اليد العليا فيه لأصحاب الصوت الأعلى والديناصورات عباد المادة والشهوات وجند إبليس.

وحتى لا يظن البعض أن المؤلف يبالغ فى وصف تردى الأحوال ، فلنقرأ بعضا مما تكتبه الصحف الحكومية ، ومثال ذلك ماكتبه الأستاذ/ صلاح الدين حافظ فى جريدة الأهرام يوم 11-12-1996: "شيء ما حدث لعقولنا ... حالة مرضية تبدو مزمنة ... إنه الفساد ؛ فساد الذمم وخراب الضمائر وانهيار الأخلاق ، وغياب المراقبة الأمينة والمحاسبة القويمة والمكاشفة الصريحة والمتابعة

المستديمة. أمراض وعلل مزمنة ، نخر سوسها فى عظام البعض منا ، فقوض البنيان الاجتماعى وخلخل الأساس الأخلاقى ومزق شفافية الضمائر وسُلم القيم".

إننى لأسطر هذا الكتاب وأتذكر إخوة لى - فى الإنسانية - قد ذهب بهم الشيطان كل مذهب ، تحت شعار العقل ، ومنهم من سموا أنفسهم "بالعقلانيين" انتسابا للعقل و"التنويريين" نسبة إلى النور ، وإنه لنعم الانتساب لو كان نقيا خالصا ، لكنه للأسف قد تدخل فيه إبليس بما أحدث من تلبيس ، وصنع ما أراد بعقول بعض العقلانيين الذين زهدوا فى الانتساب لهدى رب العالمين - بإخلاص العبودية لعظمته - وآثروا طاعة العقل الذى خربه الشيطان ولطخته أوحال الشهوات وأنهكته دوامات الأهواء. ويعجب العقل : كيف يُنتظر أن يحدث التنوير وسط الفجور؟! أو كيف تتحقق الاستنارة مع محاولة تجاهل هدى نور السماوات والأرض!

لقد أحسست بسخرية وعبث الشيطان برأس أحدهم وهو يرفض الحق الذى قد يتعارض مع ظاهر مصلحته العاجلة ، ويقول: "لا تطالبنى بأن ألغى مخى"! ذلك القائل لم يُر ساجدا لله سجدة واحدة! ويعتز بمخه!!!

ولقد غلبنى البكاء ذات مرة وأنا أسير فى جنازة أحد "العقلانيين" ووددت لو أستطيع أن أسأله قائلا: "بعدما تجلت لك الحقيقة أكان الذى تطيعه عقلك أم

عقل إبليس"؟ لكن لم يعد هناك جدوى من توجيه السؤال للأموات ، ومن الأجدى أن يوجه الخطاب للأحياء.

وأتعجب ، كيف يأمل فى النجاة والفوز من ينكر ولا يعرف شيئا عن عدوه (إبليس) الذى لايكل ولا يمل؟! هذا السؤال موجه لعقل بعض العقلانيين ، فقد يكون طرح السؤال أبلغ من تقديم إجابة غير متفق عليها ، ونتبع هذا السؤال بسؤال آخر : هل يجوز لمن يجهل حقيقة دوره - فى هذه الدنيا - أن يدّعى النجاح فيها؟! أو بعبارة أخرى هل النجاح وارد أصلا فى مثل هذه الحالة؟! والسؤال الأشمل : هلَ ترون الحياة مجرد قضاء عشرات السنين على ظهر الأرض - بالطول أو بالعرض - تنتهى بجيفة نتنة ولا شىء قبل ذلك ولا بعده؟! إن كان الأمر كذلك فلا عقل ولا يعقلون.

هكذا نشأت فكرة هذا الكتاب ، وألحت فى طلب طرح مسألة العقل على العقول. وهذا الجهد هو مجرد محاولة متجردة - بقدر الإمكان - قُصد بها وجه الكريم ، ولا أرى فى الوجود أسمى من هذا المطلب ، فإذا وفقنى ربى إلى شىء من الصواب فلا أملك غير مواصلة شكرى لأنعمه التى لا تحصى ، وإلا فحسبى أنى طرقت الموضوع و لم أدخر جهدا فى الدعوة للنقاش حوله.

إن حقيقة أمر العقل أنه قمة الجد وما هو بالهزل ، ولا حول ولا قوة إلا با لله.

لكل هذه الأسباب السابق ذكرها وغيرها مما حرك الأفكار وأقلق المضجع ، عقدت العزم على تأليف هذا الكتاب ، وتوكلت على الله الذى لا يخيب من رجاه. هذا وأطمع فى عفوه وتوفيقه وفيوضاته وفضله.

وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب ، وفى رحمته أطمع.

obeikandl.com